مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

المورد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق

المجلد العشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

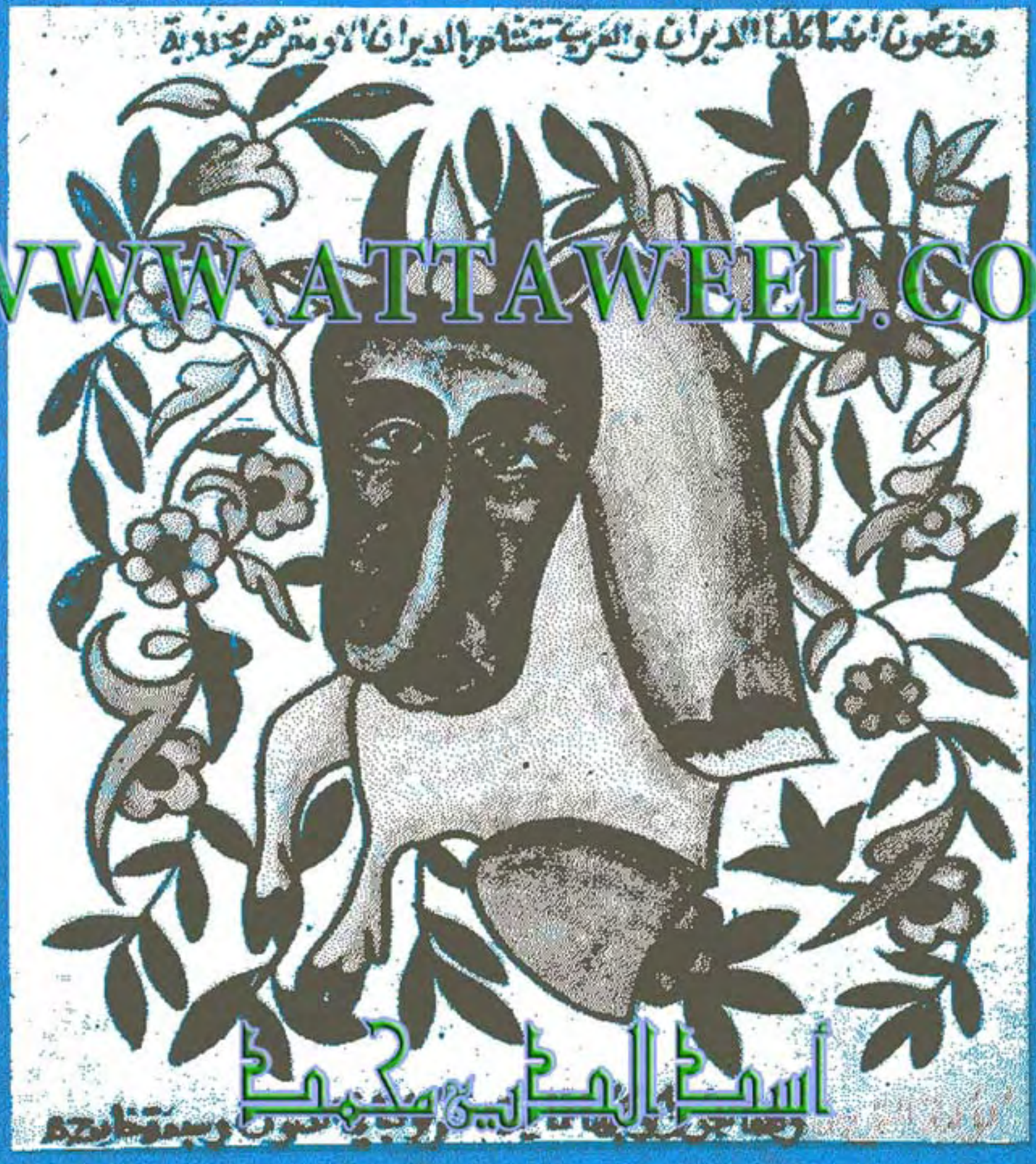

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين شيركوه

الاحلام وتفسيرها في التراث العربي

فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ (فِي رُمُوزِ الأَحْلَامِ)

تحقيق
عَرِيبَة الزَبِيدِي
بغداد ـ حي المثنى

اضـــــاءة

في ورقة خطية محفوظة في دار صدام للمخطوطات ببغداد ما يشير الى ان محمد خوارزم شاه اجتمع بمن اشتهر بتفسير الاحلام من علماء مملكته وطلب منهم أن يعدوا له خلاصة في ورقة واحدة تستوعب تأويل جميع الرؤى بحيث يستكفي بها مقيماً ومسافراً عن المؤلفات العديدة الموضوعة في هذا الفن ..

ويبدو ان اولئك العلماء بعد مداولة ومدارسة ومطارحة ومناقشة .. استقروا على ترميز الاحلام وفق النسق الابجدي الذي يتالف من (٢٨) حرفاً مختومة بكلمة (لا) التي جعلها القدماء جزءاً من مجموعة (ضظغلا) .. متجاوزين قوامها المركب من حرفي اللام والالف اللذين رسخ كل منهما في مكانه المناسب من الابجدية . وبهذا الترميز .. يستطيع الحالم أن يقع على تفسير حلمه ، اذا رأى في منامه انه ياكل تفاحة أو يلحس عسلاً ، في دلالة حرف (التاء) ودلالة حرف (العين) .. وعقيدتي ان اولئك العلماء اعتمدوا في مضامينهم الرمزية على خصائص الحروف وأسرارها وطبيعتها ، وعلاقتها بالابراج والكواكب .. وكذلك على تغليب القاسم المشترك بين مفردات الاحلام التي طوقها علماء التعبير في مؤلفاتهم المحكومة بالترتيب الابجدي .. فحرف (الخاء) في هذه الرمزية يدل على النماء والسعادة .. فاذا رجعنا الى الموروث العربي في تفسير الاحلام وجدنا الخُضَر تدل على الرخص ، وخديجة تدل على السعادة ، والخليفة يدل على حسن الحال ، والخدم من الخصيان يدل على البشارة ، والخندق يدل على المال ، والخيل تدل على الخير ، والخرج يدل على طرد الهموم ، والخابية تدل على المال ، والخمار يدل على طيب العيش ، والخردل يدل على المال الشريف ، والخل يدل على المال ، والخبز يدل على الرزق ، والخاتم يدل على الاحسان .

وبين مفردات (الخاء) ما يدل على النقيض .. فالخراط يدل على الشر والخصومة ، والخمر تدل على المال الحرام ، والخيار يدل على الهم والحزن ، والخرنوب يدل على موت المريض .. ولكن بعد الموازنة بين هذه الدلالات نجد ان (١٤) اسماً من الفئة الاولى تدل على السعادة ورغد العيش .. و (٤) أسماء من الفئة الثانية تدل على الشقاء والتعاسة .. ومن هنا اعتماد اولئك العلماء على تغليب دلالات الخير على دلالات الشر بما يشبه التصويت في البرلمان الذي يتكل في اتخاذ القرار على اغلبية الأصوات .. واستطيع أن أضيف الى ما تقدم ان واضعي تلك الرموز قد ادخلوا في حسابهم طبيعة الحرف وما يخص من الكواكب .. فحرف الخاء في هذا المضمار حرف مائي يخص عطارد ليدل على الاعتدال أي على سعد ممزوج .. ويبدو لي بعد هذه الدراسة المتأنية في هذه الرموز ان اصحابها من علماء ذلك العهد قد استبعدوا التاثير السحري من دلالات رموزهم ، ولم يقيموا له أي وزن في اجتهادهم .. ودليلي على ذلك ان حرف الطاء في رمزيتهم يدل على الزهد وتحصيل المال .. بينما هو في علم السحر حرف نموي ينزع الى التدمير والقتل . ومهما يكن من شيء فان ما يسترعي الاهتمام في هذه الرمزية الرائدة انما هو معرفة الدوافع التي حملت محمد خوارزم شاه على تكليف علماء زمانه بترميز الاحلام في ورقة واحدة تغنيه عن المصنفات المجلدة وتحل في جيبه ضيفاً غير ثقيل .. انني ، في هذا الصدد ، لا أستبعد رزوح هذا الماهل تحت وطاة أحلام غريبة أو مزعجة طوال الفترة التي وجد فيها الامبراطورية الخوارزمية هدفاً لتهديد الغازي المغولي جنكيز خان .. ولا سيما بعد أن احتك الشاه المذكور بمنطقة نفوذ الخليفة العباسي الناصر لدين الله خلال الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي .. فمن المعروف ان الدولة الخوارزمية في عهده كان لها أثر حاسم في تاريخ آسيا الوسطى .. وكانت مستهدفة تنتظر ما سيحل بها من كوارث ولذلك عاش

عاهلها محمد خوارزم شاه هلوعاً خائفاً .. جازعاً . تنقصه القدرة والحكمة في مواجهة خصومه .. فكان أرخص ضحية لغبائه وللواقع المرتبك الذي يعانيه .. فلا غرو اذا قهره ذلك الزمن الصعب على أن يرى في نومه من الأحلام ما يؤجج جزعه .. وخصوصاً خلال تنقله بين خوارزم وسمرقند وبلخ ونيسابور عقب مطاردة مغولية متواصلة .. ويبدو لي ان ما انقذه من الكوابيس والاضغاث هو موته سنة ١٢٢١ م في جزيرة صغيرة في بحر الخزر بعد أن اختارها آخر ملجأ له يقيه من انتقام جنكيز خان . وانني بعد هذه الاضاءة أحمد العلماء المجهولين الذين استخدمهم واستعبدهم البلاط الخوارزمي بالقوة والتعسف على جهدهم المبدع الذي صاغوه عملاً رائداً لم يسبقهم اليه أحد .. فالذي نعرفه ان الفراعنة هم أول من وضع الشفرة المناسبة لفك طلاسم رؤاهم .. وانهم تركوها في برديات كثيرة استطاع خبير الهيروغليفيات الاستاذ هانز كورت بعد أن درس مضامين تلك البرديات أن يقارن بين الأحلام وتفسيرها عند قدماء المصريين في بحوث مضمومة على (٥٠٠) رمز بين لفظ واسم وقد قدمها بترتيب ابجدي واضعاً بجانب كل رمز تفسير الحلم الفرعوني الخاص به أو الدال عليه .

ولا أشك ان هذه الرمزية تختلف عن رمزيتنا العربية ، فهي رمزية صور وأشكال لا رمزية حروف ، وعلى منوال الرمزية الفرعونية كانت رمزية عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد .. فهذا الرجل استطاع أن يقود الانظار الى العناية بالأحلام كوسيلة لتشخيص بعض الأمراض العصبية تمهيداً لعلاجها .. وقد حاول أن يضع بياناً لرموز بعض الاحلام وما تشير اليه من معان أو من رغبات مكبوتة .. ولكنه استعمل كالفراعنة صوراً رمزية ، فالملك عنده رمز للأب ، والثعبان رمز لذكورية الرجل ، والحجرة رمز للانثى وقد اتضح فيما بعد ان هذه الرموز غير دقيقة بل غير صحيحة .. ولا سيما في مواجهة التفاوت القائم بين الناس في التكوين النفسي ـ العقلي ، وتفاوتهم في مقومات الشخصية .. ولا ينبغي أن ننسى بأن فرويد قد اخترع الرمز في التعبير ليساير نظريته العرجاء فهو يلوي الحقائق بمهارة ليخدم فروضه الوهمية .. وبذلك أضاف غموضاً جديداً الى غموض الأحلام ، حين قال : ان رمزية الحلم تخفي المعنى عنا إلا اذا تمت ازاحة الستار عن هذا الغموض من خلال جلسات التحليل النفسي الطويلة . ويحق لي ـ بعد هذا العرض ـ ان أوكد أصالة الرمزية العربية وريادتها في المجال التعبيري .

وكلمتي الأخيرة ، في هذا الصدد ، هي انني وقفت بمساعدة الاستاذ اسامة النقشبندي ، في دار صدام للمخطوطات على نسختين خطيتين من هذا الأثر الرمزي العربي ، احداهما برقم ١٩٩٧ / ١ وتقع في ورقة واحدة ، والثانية برقم ٣١٥٠٢ / ٢ وتقع في ورقتين .. وبين النسختين تفاوت واضح بين النصوص .. وقد اعتمدت النسخة الاولى اصلاً للتحقيق ورمزت للثانية بالحرف (بـ) .

والله المستعان ومنه التوفيق .

النص

فـــائدة[1]

نقل عن محمد خوارزم شاه انه جمع من كان تحت قبضته[2] من أهل مملكته من العلماء[3] بتعبير الرؤيا ، وأمرهم أن يجمعوا له مختصراً في تعبير الرؤيا الى[4] غاية الاختصار بحيث يكون ورقة واحدة لا تفارقه[5] سفراً ولا حضراً[6]. فاجتمعوا كلهم ووضعوا[7] هذه المقدمة[8] التي ما سمع بمثلها[9] وهي على حروف المعجم[10]. فاذا رأى النائم مناماً[11] يأخذ أول حروف رؤياه[12]. مثاله : رأى كانه مات .. يأخذ حرف الميم ، أو رأى كانه ركب فرساً .. يأخذ حرف الفاء[13] وهذه[14] :

(١) في ب : فائدة جليلة .
(٢) في ب : مملكته .
(٣) في ب : العلماء الفضلاء .
(٤) في ب : في .
(٥) في ب : حتى لا تفارقه .
(٦) في ب : في حضره ولا في سفره .
(٧) في ب : والفوا .
(٨) في ب : المقدمة الآتية .
(٩) في ب : لم يسمع مثلها .
(١٠) في ب : وهي حروف أبجد .
(١١) في ب : رأى مناماً .
(١٢) في ب : أول حرف يراه .
(١٣) في ب : رأى انه راكب فرساً أو ماء يسبح فيه فيأخذ الفاء من الفرس والميم من الماء وعلى هذا المنوال .
(١٤) في ب : وهذه هي صفته .

أ – تدل[١٥] على قضاء الحاجة .
ب – تدل على رفعة وجاه .
ج – تدل على النصر والتاييد .
د – تدل على قضاء الحاجة[١٦].
هـ – تدل على تعب من جهة مسلكه[١٧].
و – تدل على قضاء الحوائج بنصب[١٨].
ز – تدل على زيادة مال[١٩] وسفر[٢٠].
ح – تدل على الرئاسة والجاه .
ط – تدل على الزهد وتحصيل المال .
ي – تدل على كثرة طاعة[٢١].
ك – تدل على السعادة وتحصيل المراد .
ل – تدل على شرف وخير جديد[٢٢] من غائب .
م – تدل على الصدق والدين .
ن – تدل على الندامة لأجل[٢٣] المعصية .
س – تدل على سلامة النفس[٢٤].
ع – تدل على الرفعة[٢٥] وكثرة الجاه .
ف – تدل على تشويش القلب[٢٦].
ق – تدل على النصر[٢٧] على الاعداء .
ر – تدل على الكسب وتحصيل المال .
ش – تدل على الدين وحسن الاعتقاد .
ت – تدل على أمن وجاه[٢٨] ونصر[٢٩].
ث – تدل على الولاية والجاه .
خ – تدل على المزيد والسعادة .
ذ – تدل على النصر على الاعداء[٣٠].
ض – تدل على تعب القلب[٣١] واشتغال الخاطر .
ظ – تدل على الامانة والديانة[٣٢].
غ – تدل على اشتغال القلب[٣٣] .
لا – تدل على نقصان المال[٣٤] والله أعلم[٣٥] بالصواب واليه المآب .

(١٥) في ب : يدل .
(١٦) في ب : الحوائج .
(١٧) في ب : السلطان .
(١٨) في ب : قضاء الحاجة على الزهد .
(١٩) في ب : المال .
(٢٠) في ب : السفر .
(٢١) في ب : الطاعة .
(٢٢) في ب : وخير خير .
(٢٣) في ب : من أجل .
(٢٤) في ب : الندامة لفعل فعلهُ .
(٢٥) في ب : الطرب .
(٢٦) في ب : تشويش القلب والظلم له .
(٢٧) في ب : نصرة .
(٢٨) في ب : وراحة .
(٢٩) في ب : ونصرة .
(٣٠) في ب : تحصيل المال والجاه .
(٣١) في ب : النصر على الاعداء .
(٣٢) في ب : تعب القلب والانشغال .
(٣٣) في ب : الامانة والديانة .
(٣٤) في ب : سعد القلب .
(٣٥) في ب : اعلم واحكم .